* *

منهج الإمام مالك التربوي والاجتماعي

د. الشبلي محمد أحمد محمد الدرويش•

كلمات مفتاحية: الامام مالك، المنهج التربوي الاجتماعي.

معالم التربية في حياة الإمام مالك بن أنس وانعكاس ذلك على منهجه في التعليم

المقدمة والخلفية النظرية: الفكر التربوي الإسلامي هو نتاج لفهم الدين الإسلامي وهذا النتاج هو عبارة عن تفاعل بين الإنسان وبيئته بمختلف صنوفها وفهمه لواقعه وانعكاس ذلك في عصفه الذهني إزاء هذا التفاعل، وإلى ذلك أشار الأثر: لكل مقام مقال ولكل زمان دولة ورجال

والفكر التربوي الإسلامي زاخرٌ بآراء وأفكار الأعلام التي تفيد في الكيفية التي تمت بها معالجة الموضوعات الحياتية المتصلة بالتربية، وقد ظهرت هذه المعالجات في الكم الهائل من التراث الفكري المتصل بهذا السياق[1]

فقد كانت المعرفة حتى عصر صدر الإسلام والعصور التي تليه معرفة موسوعية، إذ تجد أن العالم عالم في أكثر من مجال والأمثلة على ذلك كثيرة وخير شاهد من العهد الأول سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ومن التابعين الإمام مالك بن أنس ومن العصور التالية ابن رشد وابن حيان والإمام الغزالي، ومن العصور المتأخرة الشيخ ساطع الحصري.

من هنا كان لابد من دراسة الفكر التربوي لتلك الشخصيات المؤثرة في العالم الإسلامي؛ ذلك لأن هذه الشخصيات أصبحت تمثل جزءاً من التراث الثقافي الإنساني بغض النظر عن اتجاهاتها، بالإضافة إلى أن فكرهم يعكس ظروف الزمن الذي عاشوا فيه وطريقة التفكير السائدة فيه، يُضاف إلى ذلك أن التربية قضية تراكمية ومتطورة بتطور الزمن والوسائل، والفكر التربوي

• – أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة غرب كردفان

[1] :الفكر التربوي عند الإمام مالك بن أنس:محمد بن مغرم الشهري(1422)، رسالة ماجستير منشورة،جامعة أم القرى، مكة المكرمة ص3

الإسلامي في حاجة ماسة إلى الفحص والتنقيب، بمعنى يجب قراءة التراث الفكري الذي تركه الأوائل قراءة فاحصة للافادة منه في معالجة مشكل الحاضر

والإمام مالك يعتبر حجة في علم الفقه وعلم الحديث، وخير شاهد على نبوغه في علم الحديث سفره الموطأ الذي يعتبر من اصح الأسانيد، فقد أخذ الإمام مالك على عاتقه في تأليف هذا الكتاب ألا يأخذ الحديث إلا عن الثقاة من الرجال، يقول الإمام مالك: لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول اللهﷺ عند هذه الأساطين–وأشار إلى المسجد– فما أخذت عنهم شيئا، وان أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن[1] .

فقد كان الإمام مالك حذراً شديد الحذر في أخذ وتدوين حديث رسول اللهﷺ ،كما أنه كان شديد الحرص على اغتنام الوقت لتعلم الحديث؛ كيف لا والسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي[2]

وفي علم الفقه حسبه انه الذي قيل فيه: لا يفتى ومالك في المدينة، وقد حدث ابو موسى الأشعري: قال قال رسول اللهﷺيخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة أو عالم أهل المدينة[3].

يعتبر الإمام مالك أحد أصحاب المذاهب الأربعة في التراث التربوي الديني الإسلامي، وبالرجوع لتأصيل هذه العبارة يلاحظ انها تدل على جملة الأحكام والمسائل التي ذهب إليها إمام من الأئمة واستخلصها أتباعه من خلال قواعد الإمام وأصوله[4]. فهو لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بمجاهدة النفس والصبر على المشاق في سبيل التعلم والاجتهاد وصحبة العلماء لسنوات طويلة ، فقد كان حضوره لمجالس العلم حضوراً جسدياً وذهنياً؛ فقد كان الإمام مالك يحفظ كل مايُلقى عليه من حديث، والمتأمل في سيرته يلحظ أنه كان يعي كل ما يسمع أو يحفظ وقد اتضح ذلك في دروسه وفتواه.

[1]:فضل الموطأ وعناية الأمة الإسلامية به: محمد بن علوي الحسني(1987)، مطبعة السعادة، مصر ص138

[2]:التراث التربوي في المذهب المالكي:أحمد حمدان حسانين، دار العلم والايمان للنشر ، مصر ص51.

[3]:التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد:ابوبكر محمد البغدادي(1988)، تحقيق كمال يوسف، دار الكتب العلمية ، بيروت ص437.

[4]:الفقه المالكي الميسر:أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة للنشر، القاهرة ص4

إذن فقد وضع الإمام مالك لنفسه منهجاً منذ أن كان متعلماً وقد سار عليه والتزمه حتى بعد أن صار عالماً، وقد كانت له منهجيته في تربية الأجيال، فكل من كان يحضر مجلسه كان يتأدب بآدابه مهما علت رتبته ومكانته في المجتمع، وقد أوردت كتب التراجم وتلك التي تناولت الإمام مالك الكثير من المواقف التي تعضد ذلك، ومن الشواهد انه جاءه فتىً من قريش يطلب الحديث، ولم يلتزم حدود الأدب في مجلس الشيخ، فقال له الإمام يا بني تعلم الأدب قبل ان تتعلم العلم[1]، فعلى الرغم من أن الإمام كان فقيهاً وعالماً بالحديث إلا أنه لم يغفل الأدب فقد جعله مقدماً على تلك العلوم، ولعل هذا يدل دلالة واضحة ان الإمام مالك قد مزج بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية والتربية، بل أنه جعل السلوك التربوي أساساً في تلقي العلوم الشرعية والدينية.

وبالنظر للتحول الكبير في الثقافة في عصرنا الحالي وما تعيشه الأجيال الحالية من غزوٍ واستلاب فكري؛ لا بد من وجود أرضية صلبة للانطلاق منها في تأكيد هوية الإنسان المسلم لئلا يذوب في ثقافة الغير، فلا بد من المزج بين الأصالة والمعاصرة وضرورة إيجاد إستراتيجية للتكيف مع الثقافة الكونية، فهذا لا يتم إلا بالرجوع للتراث الفكري والتربوي الذي خلفه أولئك السلف، فلا بد من إعادة بعث للإرث التاريخي الفكري والديني والإفادة مما يحوي من جوانب ايجابية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: تشكل التربية بمختلف جوانبها هماً كبيراً وهاجساً دائباً ظل يؤرق الأمم، فإذا ما فشلت الأمم في تقديم المعالجات التربوية المناسبة لأبنائها فإنها بالطبع ستفقد هويتها؛ وبالتالي تذوب في غيرها، عليه فقد جاءت هذه الدراسة لبيان معالم التربية الاجتماعية في حياة علمٌ من أعلام التراث الإسلامي الديني والتربوي الاجتماعي وهو الإمام مالك بن أنس(93-179هـ)، فهو لم يقف عند حد أنه إمام في الفقه وعالمٌ من علماء الحديث بل مازج بين هذه العلوم وعلوم التربية، وقد استخدم معظم أساليب التربية التي من شأنها أن تصلح دين المسلم ودنياه بدءاً من تلامذته وحتى عصرنا الحالي، فقد حاولت هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

س1: ما المنهج التربوي الاجتماعي الذي انتهجه الإمام مالك في حياته؟

س2: هل طرأ تبدل أو تغير على القيم التي كان يؤمن بها الإمام مالك عندما كان متعلماً، وبعد أن أصبح عالماً؟

[1]:حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ابونعيم الأصفهاني، مكتبة الخانجي، مصر ص33

س3: ما ابرز معالم الفكر التربوي الاجتماعي لدى الإمام مالك؟

س4: كيف تتم الإفادة من منهجية الإمام مالك في التربية لتنشئة أبناء المسلمين؟

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على بعض جوانب حياة الإمام مالك وتتلمذه وجده في طلب العلم وسلوكه مع معلميه من ناحية ومن ناحية أخرى تحليل انعكاس هذه التربية على منهجه في نقل العلم.

كما هدفت إلى تحليل سلوك الإمام مالك وأبرز القيم التي كان يؤمن بها في مسيرته بوصفه عالماً عارفاً وكيف أنه لم يجلس لتعليم الناس الا بعد أن استوثق من علمه وتمت إجازته من قبل معلميه.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الفكر التربوي الإسلامي وما كانت تسوده من موجهات هدفها إصلاح الدين والدنيا للفرد المسلم، كما تنبع أهميتها من كون الإمام مالك قد جمع بين علمي الفقه والحديث وهما من العلوم التي تحتاج إلى صبر ودقة وتثبت، وقد بنى منهجيته في تعليم هذين العلمين على مبادئ تربوية التزم بها طيلة حياته التي استمرت زهاء السبعين عاماً.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من أنها قد حاولت تقصي السلوك التربوي للإمام مالك بوصفه عالماً ومربياً.

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فقد تم الوقوف على بعضاً مما كتب عن حياة الإمام مالك وآراؤه، وتم التركيز على الجوانب المتعلقة بالتربية، كما تم التركيز على كتاب الموطأ لاستخلاص بعض القيم و المنهجية التربوية للإمام مالك.

مجتمع الدراسة وعينتها: يمثل التراث العلمي الذي تركه الإمام مالك وما كُتب عنه المجتمع الأصلي للدراسة، وقد تم التركيز على كتابي الموطأ للإمام مالك ، وكتاب مالك حياته وعصره وآراؤه وفقهه.

الدراسات السابقة: دراسة محمد بن مغرم الشهري[1] ، وقد هدفت إلى الكشف عن نشأة الإمام مالك وابرز العوامل المؤثرة في تكوين فكره الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتعليمي، وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، وتوصلت إلى أن الإمام

[1]:محمد بن مغرم الشهري، مرجع سابق.

مالك هو علمٌ من أعلام الفكر التربوي الإسلامي الذين أسهموا في تنشيطه وتطويره ، وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن أخلاق الإمام مالك تميزت بالرفعة والسمو، وأن هناك صفات شخصية كالصبر والجلد والمثابرة كان لها أثر كبير في صبره على طلب العلم.

دراسة عبد العاطي احمد قدال[1]: وقد هدفت إلى إعطاء خلفية تاريخية عن الإمام مالك حياته وآثاره التربوية، كما هدفت إلى بيان حقيقة التربية بالإقناع الفكري بوصفها أحد ركائز التربية في الإسلام، كما هدفت إلى إيراد بعض نماذج أساليب التربية بالإقناع الفكري لدى الإمام مالك لتكون نبراساً يُحتذى به.

وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي، وتوصلت إلى أن أساليب التربية بالإقناع الفكري عند الإمام مالك من انجح الأساليب التربوية في تعديل السلوك وتصحيح مسيرة العملية التربوية في عصرنا الحالي.

مصطلحات الدراسة:

سيتم تعريف المصطلحات في هذه الدراسة بصورة إجرائية، فهذه الكلمات تتخذ المعاني قرين كل واحدة:

- القيم: هي مجموعة الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية تتشكل في الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة المقبولة لدى الجماعة التي يعيش فيها الفرد، ومن ثم تظهر في سلوكه واتجاهاته واهتماماته، وهذا المفهوم يتفق مع ما ذهب إليه ضياء زاهر[2]، كذلك تمثل القيم الوسيلة التي يحاكم بها الفرد أقواله وأفعاله.
- التربية الإسلامية: هي تنشئة الإنسان على المبادئ الإسلامية الهادفة إلى إسعاده في الدارين الدنيا والآخرة، وتستمد معاييرها الأساسية من الكتاب والسنة النبوية[3]

[1]: أساليب التربية بالإقناع الفكري عند الإمام مالك: عبد العاطي أحمد قدال(2010)،جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، السودان.

[2]:القيم في العملية التربوية: ضياء زاهر(1986)،مؤسسة الخليج العربي،القاهرة.

[3]:التربية في السودان ومدى تأثرها بالفكر الصوفي السوداني(2010)أطروحة دكتوراه غير منشورة،الجامعة الأردنية،عمان،الأردن ص12

- الدعوة : تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كل زمان ومكان باستخدام الأساليب المناسبة للمدعوين على اختلاف أجناسهم ويتفق هذه المعنى مع ما ذهب إليه محمد أمين حسن[1].
- الموطأ: هو المهيأ الدمث السهل المذوّق وهي صفات الكتاب الفرد ألفه الأمام مالك.
- المذهب : يقصد به في هذه الدراسة المسائل والأحكام التي ذهب إليها أحد الأئمة؛ومن ثم قام أتباعه باستخلاصها من النصوص خلال قواعد الإمام وأصوله ويتفق هذا المعنى مع ما ذهب إليه الطهطاوي[2]
- الفقه: العلم الذي يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة والأمة المسلمة وتعلم العلاقات المختلفة سواء على مستوى الفرد أم الجماعة أم الأمة[3]

منهج الإمام مالك في التربية: يعتبر الإمام مالك أماماً من ائمة الدعوة إلى دين الله تعالى. ولقد جعل الأمام من نفسه انموذجاً يحتذى؛ والدليل على ذلك أنه خلّق مذهباً من المذاهب الأربعة التي تشكل خطة لسير المسلمين خلال فهم وتطبيق الهدى القرآني والسنة المطهرة.

أصول مذهب الإمام مالك في التربية الاجتماعية: هنا لابد من الإشارة إلى الأصول التي اعتمدها الإمام مالك في سبيل الفتوى وإضافة أبعاد جديدة في نشر الفقه واستخلاص الإحكام الشرعية فهو لم يصل الإمام مالك إلى تلك المرتبة من الثقة في أقواله و نقله للحديث والافتاء في المسائل الفقهية الا بالاعتماد على أوثق المصادر والمتمثلة في :

أولاً: القرآن الكريم: فهو يمثل الأصل ومنبع أحكام الدين الإسلامي وقد جعل الأمام منزلة القرآن فوق كل الأدلة.

ثانياً: السنة النبوية: فقد جعل منهجه فيها بتدرج بدءاً بالأخذ بالمتواتر ثم المشهور فأخبار الآحاد التي توافق عمل أهل المدينة.

ثالثاً: عمل أهل المدينة :فقد قدمه على أخبار الآحاد لا سيما العمل المنقول عن الرسول ﷺ فهم بمثابة شاهد عيان على سلوك الرسول ﷺالهادي والمربي.

---

[1]:خصائص الدعوة الإسلامية : محمد أمين حسن(1983) مكتبة المنار، الزرقاء.

[2]:احمد مصطفى الطهطاوي، مرجع سابق4

[3]:تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة: يوسف القرضاوي(1999)، مكتبة وهبه للطباعة، القاهرة.

رابعاً: القياس ثم الاستحسان وهو الاعتداد بالمصلحة الجزئية على حكم القياس. ثم يله المصالح التي لا يقوم عليها دليل.

خامساً: سد الذرائع : وهو يشير إلى أن الذي يؤدي إلى الحرام يكون حراماً، وأن الذي يؤدي إلى المصلحة يكون مطلوباً[1]

كذلك من الأصول التي اتبعها الأمام في أخذه للسنة ما يلي:

1/ انه كان يتحرى الدقة في رواية الحديث، فهو قد دأب على نفسه ألا يأخذ هذه الأحاديث إلا عن الثقاة فقط.

2/ تحرى الصدق في رواية الحديث، ودليل ذلك أنه قد صحب عدداً كبيراً من العلماء ولكنه لم يأخذ عنهم.

3/ تعظيمه لحديث الرسولﷺ ودفاعه عنه، والشاهد على ذلك أنه كان يظهر بأحسن ما عنده من ملابس ويجلس لتعليم الناس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى أنه كانت له قوانينه الخاصة في أخذ الحديث النبوي؛ فقد كان لا يأخذ الحديث إلا وهو جالس وفي هيئة تمكنه من وعي ما يسمع.

4/ من أهم ما يميز الإمام مالك أنه كان يتحرى تمام العلم بما يفتى فيه من مسائل، ومن الشواهد على ذلك: ان رجلاً من أهل المغرب سأله عن مسألة كلفه بها قومه، فأجابه مالك: ما أدرى؛ ما ابتلينا بهذه في بلدنا وما سمعنا احد من اشياخنا تكلم فيها، ولكن تعود غداَ فلما رجع الرجل من الغد قال: يا ابا عبد الله تركت خلفى من يقول : ليس على وجه الأرض أعلمُ منك، فقال مالك : لا أحسن[2]،فالافتاء عنده بلاء وامتحان للعالم لا يقدم عليه إلا لإرشاد الناس في اعمالهم وجعلها بقدر الامكان مسايرة لتعاليم الدين الحنيف[3]

فقد كان دستوره في الإفتاء الاعتقاد الراسخ فهو القائل : من أحب أن يجيب على مسأله فليعرض نفسه على الجنة والنار ثم يجيب

6/ تجنب أصحاب الفرق والأهواء، بل وأن الإمام مالك طعن في آرائهم.

7/ نقل العلم عن طرق الرواية والاجتهاد في شرحه.

---

[1]: احمد مصطفى الطهطاوي، مرجع سابق ص4-5

[2]:الإمام مالك:مصطفى الشكعة(1983)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ص96

[3].مالك حياته وعصره وآراؤه وفقهه: الإمام محمد أبو زهرة(2002)ط4،دار الفكر العربي، القاهرة، ص55

8/إطالة التفكير وإمعان النظر في المسائل التي تعرض عليه فهو يعتقد اعتقاداً جازماً ويرى: إن هذا العلم دين ولينظر الإنسان عمن يأخذ دينه[1]

القيم التربوية لدى الإمام مالك:

من خلال مراجعة الأدبيات التي كتبت عن الأمام مالك يلاحظ ان هناك كثير من القيم التي كان يعتد بها الإمام مالك وقد تطبع بها فصارت تمثل المعيار الأخلاقي له، وهناك صفات اسهمت في ان يتشرب الأمام بتلك القيم واهم الصفات الشخصية للإمام مالك كما أوردها عبد الرحمن الشرقاوي [2] في كتابه الموسوم بالأمام مالك بن انس.

1/ السكينة والوقار 2/ العكوف على الدرس 3/ كره الجدل والصخب.

4/ كره المناظرة 5/ ملازمة العلماء في صفره طلباً للعلم

6/ كان شديد الاعتناء بمأكله وملبسه ومسكنه؛ فهو على عكس ما يرى بعض الناس في هذا العصر ان ترك الأكل الطيب واللباس الأنيق والمسكن الحسن هي من باب الزهد والرسول ﷺ الذي يحتذي به في الزهد كان يتخير أطيب الطعام، والأمر في كل ذلك لا لشهوة مادية في ابتغائه وإنما لأجل الروح[3]

7/ ملازمة الجماعة والتزام الحياد.

8/ الورع والتقوى.

ومن ابرز القيم الأخلاقية التي كانت تميز الإمام مالك بوصفه عالماً ومربياً الآتي:

أ/ العمل بالعلم:فهو لا يخالف قوله علمه وقد أثبتت هذه الحقيقة كل الكتابات التي تناولت التربية الأخلاقية للإمام مالك.

ب/صون نفسه عن الشبهات والمكروهات

ج/ التواضع

[1]: الموطأ: الإمام مالك بن انس(1951)، دار احياء التراث العربي، بيروت

[2]:أئمة الفقه التسعة.الإمام مالك بن أنس: عبد الرحمن الشرقاوي(185)، دار العصر الحديث، بيروت ص85

[3]:مالك حياته وعصره–آراؤه وفقهه:محمد ابوزهرة(2002)، دار الفكر العربي، القاهرة ص 51

د/الاقتداء بالسلف الصالح

هـ/التحفظ من طلب التزكية والنعوت

و/المبادرة بأداء العبادات.

يلاحظ على هذه القيم انها عينها القيم التي نادت بها التربية الإسلامية وقد فصلها المربين إلى آداب لكل من العالم والمتعلم، وممن تناولها الإمام الغزالي في سفره احياء علوم الدين، وابن جماعة وابن سحنون ومن المتأخرين ساطع الحصري كما تناول علما المتصوفة هذه القيم في تربيتهم الأخلاقية.

معالم التربية الاجتماعية عند الامام مالك:

يعتبر الإمام مالك أماماً وداعية لهدى الله تعالى لذلك يلاحظ من خلال الوقوف على سيرته ومواقفه أنه كان دائماً يمثل القدوة الحسنة في سلوكه وقبل التطرق لمعالم فكر الإمام مالك التربوية لابد من الإشارة إلى أخلاق الداعية وهي تتمثل في:

أ/ الصدق فقد دعا له القرآن في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]ب/ الصبر وهو حبس النفس على ما تكره وابتغاء مرضاة الله تعالى، قال تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨] ، وانما يتم نجاح الإنسان في الدنيا وفلاحة في الآخرة بالصبر في الدنيا[1].

ج/ الرحمة:قال تعالى في شأن الرحمة :﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

د/ التواضع وخفض الجناح: أي المعاملة باللين: يدل عليها قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]هـ/ المثابرة ومغالبة المعوقات.

ومن خلال مراجعة الأدبيات فقد توصلت الدراسة إلى أن معالم الفكر التربوي لدي الإمام مالك تدور حول الآتي:

[1]:أسس الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم:عمر يوسف حمزة، الدار المصرية اللبنانية

1/ تعظيم حديث الرسولﷺ، فقد كانت للإمام مالك منهجية خاصة في التعامل مع أحاديث الرسولﷺ، ومن ذلك أنه كان إذا اراد أن يخرج ليحدّث الناس توضأ وضؤه للصلاة ولبس أحسن الثياب واعتمر قلنسوة ومشط لحيته. وعندما سئل عن ذلك قال: اوقر به حديث رسول اللهﷺ[1]، فهو يسلك هذا السلوك من باب التقوى المشار إليها في قوله تعالى:(ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)[2]، وفي نفس السياق قيل أن الإمام مالك كان يغتسل ويتبخر ويتطيب عندما يخرج ليحدّث الناس بحديث رسول اللهﷺ وإذا رفع أحدهم صوته زجره.

2/التعقل والتثبت في الحديث:قال أحد السلف ما رأيت أحداً أعقل من مالك ، فقد كان يلقب بالثبت؛ أي الدقيق في حفظه وروايته العدل في أخلاقه.

3/إخلاص النية في نشر العلم:يرى الإمام مالك أن طلب العلم أفضل من سائر الأعمال شريطة أن تكون النية فيه حسنه، فقد قال مالك لابن وهب لما أن قام للصلاة من مجلس الإمام: ما الذي قمت إليه بأوجب من الذي قمت عنه[3]

3/ لا يفتي إلا بما يعلم: فقد قال أحد السلف: سمعت مالكاً سئل عن ثمانٍ واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري.

4/ اتصف مجلس الإمام مالك بأنه مجلس تربوي أصيل فقد كان مجلس وقار وحلم ، وكان مالكٌ رجلاً مهيباً نبيلاً ليس في مجلسه من المراء واللغط ورفع الصوت، وقد كان إذا سئل أجاب سائله[4].

تعلم الأدب مقدّم على تعلم العلم:فقد أورد صاحب حلية الأولياء أنه جاءه يوماً فتىً من قريش يطلب الحديث ولم يراع الأدب المطلوب في مجالس الإمام وحلقاته الدراسية، فقال له يا بني تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم[5]

---

[1]:سيرة الأئمة الأربعة.الإمام مالك بن أنس: محمد راتب النابلسي(1996)

[2]: سورة الحج الآية 32.

[3]: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني(1379)، تحقيق محمد فؤاد وآخر،ج1، دار المعرفة، بيروت ص161

[4]: عبد العاطي أحمد، مرجع سابق

[5]:ابو نعيم الأصفهاني، مرجع سابق ص330

بعض الملاحظات معالم الفكر التربوي للإمام مالك:

استخدم الإمام مالك أنجع أساليب التربية الفعالة التي توصل الرسالة التعليمية بين العالم والمتعلم ومن أمثلة ذلك:

-التربية باعمال القلوب كالصبر والصدق والمحبة؛ فقد كان هذا نهج النبي في الدعوة[1]

-استخدم الإمام مالك أسلوب البيان العملي في تربيته لطلابه كما استخدم أسلوب الحوار والمناظرة.

- استخدم أسلوب التربية بالموعظة الحسنة[2]

-استخدم أسلوب التربية بالأحداث، ومن خصائص هذا النوع من التربية الاستفادة من تجارب الغير

-الربط بين العلم والعمل.

-استخدام أسلوب الترغيب والترهيب.

كيفية الإفادة من منهجية الإمام مالك في التربية لتنشئة أبناء المسلمين:

لقد رسم الإمام مالك لنفسه منهجاً تربوياً غاية في الدقة مما جعله يكون أنموذجا في التأدب مع حديث رسول اللهﷺ ، فهو في منهجه اعتمد على أصول ثابتة قوامها الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة ثم القياس. فهذه الأصول تمثل المنطلقات الأساسية التي يصلح من خلالها الإنسان المسلم دينه ودنياه، وقد وجدت هذه الأصول الاستعداد الفطري والفكري الذي ساعده على الاستفادة منها أقصى فائدة.

فلو نظرنا للإمام مالك في صغره نلحظ انه كان يكره الجدل والمناظرة، ويحب السكينة ويعكف على الدرس المطمئن، وقد أخذ ادب التهيؤ للدرس منذ صغره؛ ومن ذلك ما يرويه الامام مالك: انه قال: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت تعال فالبس ثياب العلم، فألبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه[3].

[1]:محمد محزون، مرجع سابق ص ص 77-81

[2]:عبد العاطي أحمد قدال، مرجع سابق ص19

[3]:أحمد حمدان حسانين، مرجع سابق ص ص 31-32

وقد كانت للإمام مالك همة في طلب العلم، فقد قال عنه ابن عيينة ما رأيت أحداً أجود في أخذ العلم من مالك.

فلو تأملنا هذه العبارات يمكن أن نخرج منها ببعض الفوائد للعالم والمتعلم ويمكن أن تشكل قواعد في التعلم:

أولا: لا بد أن يعرف المربي صفات المتعلم ويشرع في تعليمه على أساسها.

ثانياً:على ولي الأمر أن يشجع المتعلم على إجادة المساق الذي يدرسه.

ثالثاً: أن الأدب مقدم على العلم ، وقد مرّ بنا أن والدة الإمام مالك قد أوصته بأن يأخذ من العالم أدبه قبل علمه؛ وهذا النوع من التعلم لا يتم إلا بالصحبة وهي أسلوب من أساليب التربية كان وما يزال على الرغم من اقتصاره على بعض مشائخ الصوفية والعلماء الذين يعلمون الناس في المساجد.

رابعاً: لقد صحب مالك العلماء لسنين طويلة وهذه دلالة واضحة ان الإمام لم يطل صحبة هؤلاء العلماء إلا ليأخذ منهم اكبر جرعة من الأدب قبل العلم، ولو كان الأمر قاصراً على العلم فقط لأخذه الشيخ في فترة وجيزة، وقد مرّ بنا في ثنايا هذه الدراسة أن الإمام مالك كان يحفظ كل حديث يلقى عليه، إذن يظل الأدب هو المحور الذي تدور حوله كل العلوم.

خامساً: لقد اخذ الإمام مالك العلم من أكثر من مدرسة، فقد درس العلم على أيدي كم هائل من العلماء، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الإنسان كلما جلس كلما عظمت فائدته، وكلما تنوع المعلمين كانت حصيلته المعرفية والثقافية أكبر، بل ويتعرض لخبرات مختلفة تعينه على التصرف بحكمة في المواقف المختلفة؛ بمعنى انه يستطيع أن ينقل أثر التعلم وتنشط في نفسه ملكة القياس والاجتهاد إذا لزم الأمر.

سادساً:لقد التزم الإمام مالك بمتلازمة العلم والعمل معاً، فقد كان عالماً عاملاً بعلمه ، كما انه كان يتمثل ما يعلمه للناس، فقد كان كثير القيام.

سابعاً: عدم القطع في الأمور، فقد عرف عن الإمام مالك انه لا يقول هذا حلال وهذا حرام ، وإنما يقول أكره واستحسن في الأمور التي لم يرد فيها نص صريح، وقد ورد في ثنايا هذه الدراسة أن الإمام مالك يرى أن الذي يؤدي إلى المصلحة يكون مطلوباً أو مستحسناً، والعكس الذي يؤدي إلى الحرام يكون مكروهاً.

ثامناً: مما تميز به منهج الإمام مالك تحري الدقة في رواية الحديث، وهنا رسالة تربوية لكل الأجيال مفادها أن نتحرى الدقة في أخذنا للعلوم بمختلف أنواعها.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

ومن ابرز الاستنتاجات التي خلصت إليها الدراسة:

- لكي يصل الإنسان إلى مبتغاه لا بد أن يتحلى بالصبر، وقد اتضح ذلك في صبر الإمام على الفقر، وحدة بعض شيوخه، وصعوبة الأوقات التي كان يذهب فيها لتلقي العلم وتحين الفرص للتحدث إلى شيخه منفرداً.
- كان الامام مالك يعظم الحديث النبوي الشريف؛ فقد عهد على نفسه الا يأخذ حديثاً من شيخ وهو واقف، فهو يؤصل لقيمة تربوية في غاية الأهمية.
- المتتبع لسيرة الإمام مالك يلاحظ أنه كان يدير وقته بدقة ووعي، فقد كان للدرس زمنه الخاص وللعبادة زمنها، وتذكر الشواهد ان الإمام مالك كان يقوم الليل وقد كان كثير الصلاة، ومع ذلك ملتزماً بوقت درسه.
- كانت للإمام مالك قيمه التي يؤمن بها والتي شكلت التربية الأخلاقية بالنسبة له ومن هذه القيم ما يلي:
  - ملازمة الجماعة والتزام الحياد.
  - الورع والتقوى.
  - تجنب الجدل والمناظرة.
  - الاعتناء بمأكله وملبسه ومسكنه ، فهو يقتدي بالرسولﷺ في كل أمره، ولو نظرنا إلى عصرنا الحالي نجد أن هناك من يفضل الثياب البالية ويبتعد بقدر الإمكان عن الطيب من المطعم، وحتى في سكنه تجد ان هيئة سكنه لا ترقى لما هو فيه من وضع مادي، كل ذلك بدعوى الزهد في الدنيا.

التوصيات:

ومن التوصيات التي خرجت بها الدراسة ما يلي:

- لا بد من تركيز المناهج التربوية القائمة في المدارس على سيرة السلف الصلح، وضرورة قراءة ما وراء السطور في حياتهم.

- أن تقدم حياة الإمام مالك على وسائل التقنية الحديثة وفي صورة تتماشى وروح العصر؛ حتى تجد الأذن الصاغية والقلب الواع.
- عمل دراسة مقارنة للزهد عند الصحابة والتابعين وحال الزهد في العصر الحالي.
- أن يتم التركيز في العملية التعليمية على الأدب قبل التعليم، وهنا لا بد أن يكون المربي قدوة

المصادر والمراجع

* أئمة الفقه التسعة الإمام مالك بن انس: عبد الرحمن الشرقاوي (1985) ، ط2، دار العصر الحديث ، بيروت.

*أساليب التربية بالإقناع الفكري عند الإمام مالك: عبد العاطي أحمد موسى قدال(2010)، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، السودان.

* أسس الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم : عمر يوسف حمزة ، الدار المصرية للنشر ، القاهرة.

*الإمام مالك:مصطفى الشكعة (1983)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

* التراث التربوي في المذهب المالكي: أحمد حمدان حسانين، تقديم الدكتور مصطفى رهيب، مؤسسة العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

* التقييد لمعرفة السنن والمسانيد: ابوبكر محمد البغدادي(1988)، تحقيق كمال يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.

*التربية في السودان ومدى تأثرها بالفكر الصوفي السوداني: الشبلي محمد أحمد (2010) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية، عمان الأردن.

* القيم في العملية التربوية: ضياء زاهر(1986)، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة.

* الموطأ: الإمام مالك بن أنس (1951م) دار احياء التراث العربي.

* ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك:القاضي عياض(1998)،طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

* تيسير الفقة للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة : يوسف القرضاوي (1999) ، مكتبة وهبة للطباعة ، القاهرة.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني(1932)، مكتبة الخانجي، مصر.

* خصائص الدعوة الإسلامية: محمد أمين حسن (1983) ، مكتبة المنار، الزرقاء.

* سيرة الأئمة الأربعة.الإمام مالك:محمد راتب النابلسي(1996).

*فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني(1379)، تحقيق محمد فؤاد وآخر،ج1، دار المعرفة، بيروت.

فضل الموطا وعناية الأمة الإسلامية به: محمد بن علوي الحسني(1987)، مطبعة السعادة، مصر.

* مالك حياته وعصره وآراؤه وفقهه : الإمام محمد أبو زهرة (2002) ، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة.

* منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة: محمد محزون (2006) ، ط3، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.